

لله قدرة عامة وللعبد قدرة خاصة

فلا يجوز أن يقال : ليس للعبد أية قدرة أصلاً، فهذا قول الجبرية، ولا يقال : ليس لله قدرة أصلاً فهذا قول المعتزلة ، بل لله قدرة عامة وللعبد قدرة خاصة، وقدرة الرب غالبية على قدرة العبد، ودليل ذلك في القرآن قوله تعالى : { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } (التكوير:28-29) { قَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَدْرُؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } (المدثر:55-56) { قَمِنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } (الإنسان:29-30) ونحو ذلك من الآيات. فإلحاح بالقدر هو قول المشركين الذين يقولون: { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَاهُمْ } (الزخرف:20) { أَطِيعُوا مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتُمْ } (يس:47) فهؤلاء الجبرية الذين يحتجون بالقدر قولهم موافق لقول المشركين، والغالب أنهم لا يحتجون به إلا عند أهوائهم؛ ولهذا يقول ابن القيم في الميمية. وعند مراد الله تفنى كميت وعند مراد النفس تُسدي وتُلحِمُ وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ظهيرا على الرحمن للجبر تزعم يعني: تزعم أنك مجبور، فحصل في ذلك تقسيم الطوائف إلى ثلاث: الطائفة الأولى: الذين يقولون إن العبد هو المستقل بفعله، وهؤلاء هم القدرية، وكذلك ينكرون قدرة الله ويدعون أن الله يعصى قهراً. الطائفة الثانية: طائفة مجبرة؛ الذين ينكرون قدرة العبد أصلاً، ويقولون: ليس له شيء من الفعل، فحركته كحركة المرتعش الذي لا يقدر على إمساك يده، أو حركته كحركة الشجرة التي تحركها الرياح بدون اختيارها فليس له أية قدرة. الطائفة الثالثة: قول أهل السنة: أن له قدرة وإرادة، وأنه بحسبها يثاب ويعاقب ، وإن كانت خاضعة لقدرة الله تعالى.